

قبائل ألمع وموقفها من تحركات قوات

محمد علي باشا (١٢١٥ - ١٢٤١هـ)

«دراسة تاريخية وثائقية»

المقدمة :

يشكل موضوع قبائل ألمع أهمية كبيرة من حيث المكان والزمان .. فمن حيث المكان تحتل قبائل ألمع موقعاً إستراتيجياً في ذلك الوقت، فهي تقع على ملتقى عدة طرق عسكرية وتجارية سواء إلى عسير السراة أو باتجاه قبائل بني شعبة وجازان، وأما الحقبة التاريخية فهي حقبة لها سماتها ومقوماتها العسكرية والقبلية والاقتصادية بالنسبة للقوى المحلية والخارجية التي كانت موجودة في الجزيرة العربية؛ فخلال هذه الحقبة برزت الدولة السعودية الأولى في نجد وتطلعت إلى توحيد أجزاء الجزيرة العربية تحت سلطتها، وكان لها ذلك، مما أزعج السلطات العثمانية، فأوعزت إلى واليها على مصر محمد علي باشا بالقضاء على هذه الدولة الفتية.. ووجد ذلك التوجيه هوى في نفس محمد علي باشا الذي سخر كافة إمكانياته العسكرية والمادية حتى تمكن في النهاية من القضاء على الدولة السعودية الأولى، وخلال هذه الحقبة أيضاً بدأت تتضح نظرة

الدكتور:

صالح بن

عـون

الغامدي*

* بكالوريوس من

كلية العلوم

الاجتماعية

بالرياض -

قسم التاريخ

عام ١٣٩٨هـ.

- ماجستير في

التاريخ الحديث

والمعاصر من

الكلية نفسها.

- دكتوراه في

التاريخ الحديث

والمعاصر عام

١٤٠٤هـ.

- يعمل الآن

أستاذاً مشاركاً

في قسم التاريخ

الحديث والمعاصر

بجامعة الملك

خالد بآنها.

الطبعة

السنة السابعة

العددان: السابع والثامن والعشرون

رمضان - ذو الحجة ١٤٢٥هـ

أكتوبر ٢٠٠٤م - يناير ٢٠٠٥م

محمد علي باشا حول تأسيس إمبراطورية كبيرة تضم فيما تضم الجزيرة العربية؛ يحكمها حكماً مستقلاً عن الدولة العثمانية، مما دفعه إلى إرسال الحملات المتعددة لتحقيق ذلك الهدف .. وموقف هذه القبائل من تلك الحملات، ولأهمية الموقع الإستراتيجي لهذه القبائل في ذلك الوقت برزت مواقف متضاربة من بعض القوى التي كانت تسعى إلى ضم قبائل ألمع إليها ، مما أدى إلى مشكلات جرّت في النهاية إلى حروب بين أمراء عسير ودرب بني شعبة وأمارة أبي عريش .

لقد قسمت بحثي هذا إلى ثلاثة محاور ، حيث تناول المحور الأول قبائل ألمع والصراعات المحلية ، ثم الانضمام للدولة السعودية الأولى قبيل وصول الحملة المصرية .. أما المحور الثاني فكان عن قبائل ألمع والحملة المصرية على الجزيرة العربية، وفي المحور الثالث تناولت موقف ألمع بعد هزيمة قبائل عسير عام ١٢٣٩هـ . لقد قامت قبائل ألمع بأدوار ومواقف مميزة، ولعل من أبرزها المشاركة الفاعلة في قوات عسير خلال حصار مكة المكرمة ضمن الجيوش السعودية عام ١٢١٨هـ، وكذلك وقوفهم مع قلة من قبائل عسير مع طامي بن شعيب في حروبه ضد قوات محمد علي باشا، وأيضاً مع سعيد بن مسلط ضد الشريف محمد بن عون ومن معه من قوات محمد علي .

اختلف المؤرخون حول تبعية قبائل ألمع لعسير، فهناك فريق يعتبرها جزءاً لا يتجزأ من عسير التي تنقسم إلى قسمين: عسير السراة وعسير تهامة التي تتبعها قبائل ألمع^(١)، ويتفق هذا الرأي مع رأي الشريف البركاتي، والدكتور محمد آل زلفة اللذين يؤكدان بأن ألمع تتبع عسير القبيلة^(٢)، وهناك فريق آخر يقول بأن قبائل ألمع ليست من عسير

(١) هاشم بن سعيد النعمي . عسير في الماضي والحاضر ، ج١، بدون معلومات أخرى، ص ٤ .

(٢) الشريف البركاتي . الرحلة اليمانية ٠ - ط٢ - بيروت، ١٣٤٨هـ ، ص ١٢٥ . وانظر: د محمد

آل زلفة . دراسات من تاريخ عسير الحديث ٠ - ط١ - الرياض، ١٤١٢هـ، ص ١٣٠ .

وإنما تحدها من الغرب . وفي مقدمتهم الحسن الهمداني^(١) . وألع القبيلة تتبع في وقتنا الحاضر قبيلة عسير، حيث تشكل قرابة النصف منها مساحة وسكانا^(٢) .

والسؤال الذي يطرح نفسه : هل قبائل ألع جزء من عسير منذ القدم ؟ أم أن هذه التبعية حدثت في وقت متأخر ؟

وفي اعتقادي أن قبائل ألع قد انضمت إلى عسير في وقت متأخر وذلك للأسباب الآتية :

- ١ - انضمام رجال ألع في كثير من المواقف إلى أعداء عسير كما حدث مع الشريف حمود أبو مسمار أمير أبي عريش^(٣) ، ومع الأدرسي في صبيا^(٤) .
- ٢ - عدم انصياع قبائل ألع لأوامر أمراء عسير ، والشاهد على ذلك عدم تسليم أسلحتهم للأمير محمد بن عامر^(٥) ، ومحاربتهم للأمير محمد بن عايض^(٦) .
- ٣ - أن الانضمام إلى عسير أملتته المواقف الخارجية والحربية كنمط من أنماط التحالف ضد أي معتد خارجي على المنطقة كما حدث ضد قوات محمد علي باشا وأشرف الحجاز والدولة العثمانية أثناء الهجمات على عسير .

-
- (١) الحسن الهمداني . صفة جزيرة العرب : تحقيق محمد الأكوع - الرياض ، ١٣٩٤هـ ، ص ٢٥٦ . وانظر: فؤاد حمزة . في بلاد عسير - ط ٢ - الرياض ، ١٣٨٨هـ ، ص ٨٨ . ومحمود شاكر . شبه جزيرة العرب (عسير) - ط ٣ - دمشق ، ١٤٠١هـ ، ص ٥٤-٥٥ .
 - (٢) علي أحمد عسيري . عسير ١٢٤٩-١٢٨٩هـ - الرياض ، ١٤٠٧هـ ، ص ٩١ .
 - (٣) محمد بن أحمد العقيلي . تاريخ المخلاف السليماني ، ج ١ - ط ٢ - الرياض ، ١٤٠٢هـ ، ص ٤٥٩ .
 - (٤) الشريف البركاتي ، المرجع السابق ، ص ٣٠ .
 - (٥) هاشم النعمي ، المرجع السابق ، ص ١٣٢ .
 - (٦) حسن بن أحمد اليمني (عاكش) . الدر الثمين : تحقيق عبد الله بن حميد - دمشق ، ١٣٩٨هـ ، ص ٦٥ .

بعد أن تمكنت الدولة السعودية الأولى من ضم منطقة بيشة تحت لوائها عام ١٢١٣هـ^(١) ، بدأت حكومة الدرعية في إرسال الرسائل إلى أمراء وأهالي منطقة عسير تدعوهم إلى اتباع مبادئ الدعوة السلفية ، وقد استجاب لتلك الدعوة محمد ابن عامر أبونقطة وأخوه عبد الوهاب بن عامر أبونقطة من قبيلة ربيعة ورفيدة حيث اتجها إلى الدرعية وتعلما مبادئ الدعوة السلفية وطلبا من الإمام عبد العزيز مساعدتهما لنشر مبادئ الدعوة بين قبائل عسير .

جهز الإمام معهما جيشاً كبيراً بقيادة ربيع بن زيد مهمته تثبيت دعائم إمارة محمد بن عامر على عسير وذلك عام ١٢١٥هـ^(٢) ، وقد واصل الجيش زحفه حتى وصل قرية حجلا من قبيلة بني مالك إحدى قبائل عسير ، وهناك وفدت عليه غالبية قبائل عسير تعلن الولاء والطاعة عدا قبائل رجال ألمع^(٣) ، ثم زحف الجيش حتى وصل إلى باحة ربيعة ، وبعد أن أكمل الجيش مهمته عاد راجعاً إلى نجد ، بينما بدأ الأمير محمد بن عامر في ممارسة دوره الزعامي على منطقة عسير التي تمتد في حدودها الطبيعية ما بين بللحمر فمحائل شمالاً حتى بلاد قحطان فبني شعبة جنوباً ، وغرباً ما بين سواحل القحمة حتى بلاد شهران شرقاً^(٤) .

أدرك الأمير محمد بن عامر أن الأمور لا يمكن أن تستقر ، والقبائل لا يمكن أن تخضع بشكل مباشر دون نزع السلاح ، وقد تمكن من نزع سلاح قبائل عسير

(١) محمود شاكر ، المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

(٢) عبد الرحمن بن أحمد البهكلي . نفع العود [مخطوط] ، دار الملك عبد العزيز، قسم المخطوطات ، رقم ٦١ ، ص ١٥ .

(٣) إبراهيم بن علي الحفظي . تاريخ عسير ؛ تحقيق وتعليق محمد بن مسلط - ط ٥ ، بدون محل طباعة ، ١٤١٣هـ ، ص ٨٣ .

(٤) هاشم النعمي ، المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

السراة ، إلا أنه عندما حاول نزع سلاح قبائل رجال ألمع قابلته بالرفض^(١) ، ولعل هناك عوامل دفعتهم إلى عدم الامتثال لأوامر الأمير محمد بن عامر ومن أهمها :

١ - إن سلاح الإنسان «البندقية والسيف والرمح والجنبية» جزء من حياته ، يعادلها في حبه لها زوجته وأولاده ، ومن العيب والعار في ذلك الوقت أن يسلب من الرجل سلاحه.

٢ - خوف القبائل من هجوم خارجي من إحدى القبائل المجاورة ، إذ أن التناحر والتقاتل والعصبيات القبلية كان لا يزال أوارها متقدماً ، لعدم وجود سلطة قوية تسيطر على الأوضاع في كافة الإقليم .

علمت حكومة الدرعية بموقف رجال ألمع من عدم تسليم أسلحتهم ، فأرسلت أوامرها المشددة إلى أميرها في عسير محمد بن عامر بإجبار قبائل ألمع على تسليم أسلحتهم ، وتدخل بعض مشايخ القبائل بين الطرفين بالطرق السلمية ، وقد تم الاتفاق ، وحتى يظهر الجميع أمام حكومة الدرعية بمظهر الجسد الواحد سافر الأمير محمد بن عامر ومعه كبار رجال ألمع وقبائل عسير السراة الأخرى وذلك عام ١٢١٧هـ ، لمقابلة الإمام عبد العزيز بن محمد ، وتجديد البيعة له ، وقبول مبادئ الدعوة السلفية ، والالتزام بالجهد في سبيل الله ضد أعداء الدعوة السلفية وحكومة الدرعية ، وجدد الإمام للأمير محمد بن عامر إمارته على عسير وما يتبعها ، وفي طريق عودته والوفد المرافق له إلى عسير توفي الأمير محمد بن عامر بعد أن حكم قرابة عامين ، وخلفه أخوه عبد الوهاب بن عامر ، وبايعته قبائل عسير بما فيها ألمع ، والتفت حوله ، وأرسلت الدرعية موافقتها على إمارة عبد الوهاب ، وأمرته بالمسير إلى تهامة ، وضمها^(٢) .

(١) المرجع نفسه ، ص ١٣٢ .

(٢) عبد الرحمن البهكلي ، المخطوط السابق ، ص ١٥ .

لم يتوان الأمير عبد الوهاب منذ أن تقلد الإمارة في عسير في ضم المناطق المجاورة له ، وإخضاعها لطاعته ، فضم قحطان وشهران وبللسمر وبللحمر وبنو شهر وبنو عمرو ، ولم يبق خارجاً عن طاعته من تهامة سوى محاليل التي بقيت على ولائها للشريف غالب أمير مكة^(١) .

سار الأمير عبد الوهاب برجاله ناحية أبي عريش تنفيذاً لأوامر الدرعية ، وذلك في رمضان ١٢١٧هـ ، مروراً بصبيا حيث ضمها إليه بعد أن قابله أميرها الشريف منصور بن ناصر ، وأعلن ولاءه لحكومة الدرعية ، كما انضم إلى عبد الوهاب الداعية أحمد الفلقي وعرار بن شار أمير بني شعبة . تابع عبد الوهاب ورجاله السير نحو أبي عريش ، وقد حصنها الشريف حمود أبو مسمار ، إلا أن ضغط عبد الوهاب وأتباعه عليها مكنهم من هزيمة الشريف حمود ودخولهم إلى أبي عريش ، ليعلن الشريف حمود ولاءه لحكومة الدرعية ، فأبقاه عبد الوهاب أميراً في أبي عريش تابعاً لحكومة الدرعية ، منفذاً لأوامرها متعهداً بالجهاد لنشر مبادئ الدعوة السلفية في حدود إمارته^(٢) .

ولعل الأمير عبد الوهاب قد أدرك أطماع الشريف حمود في بعض المناطق القريبة من إمارته ، كصبيا وبيش وبني شعبة على سبيل المثال ، لذا فقد حدد له عبد الوهاب أبا عريش والمناطق التابعة له ، كما ألزمه عبد الوهاب ليس فقط باتباع مبادئ الدعوة السلفية والخضوع لحكومة الدرعية ، وإنما الجهاد لنشر مبادئ الدعوة في أي جزء توجه به حكومة الدرعية .

(١) هاشم النعمي ، المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(٢) محمد بن إسماعيل الكبسي . اللطائف السننية في أخبار الممالك اليمنية [مخطوط] ، جامعة

الملك سعود ، قسم المخطوطات ، رقم ٢٢٤٢ .

وفي عام ١٢٢٠هـ وبناءً على توجيهات الإمام سعود بن عبد العزيز توجهت قوات عبد الوهاب أبي نقطة وفيهم رجال ألمع إلى مكة المكرمة لمحاربة الشريف غالب الذي هاجم القوات السعودية المرابطة في مكة المكرمة بعد أن استولت عليها عام ١٢١٨هـ ، ومن ضمن تلك القوات أربعمئة مقاتل من عسير وفيهم رجال ألمع وأخرجهم منها^(١) .

أدرك الشريف غالب أن عبد الوهاب أبي نقطة وجيشه يشكلون تهديداً خطيراً لبقائه في الحجاز ، لذا قرر مهاجمة الحامية العسيرية التي تركها عبد الوهاب عند ماء السعدية ، فباغتها وقضى عليها ثم اشتبك مع قوات عبد الوهاب عند يلملم ولم يحقق أي فريق انتصاراً على الفريق الآخر ، كما حاول عبد الوهاب برجاله من قبائل عسير وألمع دخول مكة المكرمة مرة أخرى إلا أنه لم يتمكن من ذلك فعاد أدراجه إلى عسير ، وفي طريق عودته قرر تأديب عرار بن شار أمير بني شعبة لعدم مشاركته معه في حرب الشريف غالب ، فهاجم عراراً وأخذ خيول بني شعبة^(٢) ، ولا شك أن هذا الخلاف وعدم مشاركة عرار مع عبد الوهاب في حروب الحجاز وراءه الشريف حمود الذي بدأ يضيق بتبعيته إدارياً لعبد الوهاب فأوعز إلى عرار بذلك ، لذا فإن عراراً بعد مهاجمة عبد الوهاب له ذهب إلى الشريف حمود في أبي عريش وطلب منه الحماية^(٣) ، فاستغلها الشريف حمود فرصة لصالحه ضد عبد الوهاب حيث أشار على عرار بالعودة إلى إمارته الحانقة على عبد الوهاب الذي ألحق بها

(١) أحمد السباعي . تاريخ مكة ، ج ١ - القاهرة ، ١٢٧٢هـ ، ص ٣٤٩ .

وانظر : إبراهيم الحفظي ، المرجع السابق ، ص ٧٦ .

(٢) محمد بن أحمد العقيلي ، المرجع السابق ، ص ٤٥٧ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٤٥٩-٤٦٠ .

خسائر كبيرة أثناء مهاجمته لها ، كما طلب من عرار ضم رجال ألمع الذين لم يكونوا على وفاق مع عبد الوهاب .

رحب رجال ألمع برغبة عرار ، وطلبوا إليه القدوم ، فسار بقواته من بني شعبة قاصداً الشعبين عاصمة رجال ألمع في ذلك الوقت^(١) . وما أن وصل عرار ومؤيدوه من رجال ألمع قرب بني شعبة حتى وصلتهم الأنباء بأن رجال عبد الوهاب قد قبضوا على الشعبين وبث العلماء دعاية مضادة لعرار بأنه ممن يسعون في الأرض فساداً فعاد أدراجه إلى درب بني شعبة وبمعيته بعض رؤساء ورجال ألمع^(٢) .

استاء عبد الوهاب من تصرفات عرار فسار بقواته إلى رجال ألمع حيث بقي بها فترة من الوقت نكل خلالها بمن وقف ضده من تلك القبائل^(٣) .

صمم عبد الوهاب أبونقطة على طرد عرار بن شار من بني شعبة حيث إن بقاءه فيها لن يمكن عبد الوهاب من إخضاع القبائل التهامية المجاورة له ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد اكتشف تورط الشريف حمود أبو مسمار أمير أبي عريش عندما اطلع على رسائل تأييدية لعرار ورجال ألمع خلال هجومه على بني شعبة ، لذا كان عليه ضرب أعدائه في بني شعبة وأبي عريش ومن معهم من رجال ألمع^(٤) .

كون الأمير عبد الوهاب جيشاً كبيراً من عشرة آلاف مقاتل سار بهم نحو بني شعبة عن طريق عقبة ضلع ، مما أدى إلى خوف عرار بن شار من ذلك الجيش الضخم ، فقرر مغادرة الدرب واللجوء إلى الشريف حمود ومعه ثمانمائة من حاشيته

(١) المرجع نفسه ، ص ٤٥٨ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٤٥٨-٤٥٩ .

(٣) هاشم النعمي ، المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

(٤) هاشم النعمي ، المرجع السابق ، ص ١٣٩ .

ورجاله ، وفيهم خمسمائة مقاتل من رجال ألمع ، فدخل عبد الوهاب درب بني شعبة ودمر حصون عرار ، ونكل ببعض قبائله التي أيدته في قراراته وساعدته في هجومه على رجال ألمع ، أما بقية قبائل بني شعبة والشقيق وعتود فقد سارت إليه ، فأخذ أسلحتهم ، وأمنهم ، وأمر عليهم أحد أتباعه^(١) .

لم يكتف الأمير عبد الوهاب بذلك النصر ، بل قرر أمرين مهمين ، أحدهما الزحف على أبي عريش والتخلص من عدوه اللدود الشريف حمود ومن معه من رجال ألمع وبني شعبة وعلى رأسهم عرار ، والثاني ضرورة الاستيلاء على الموانئ اليمنية ذات الأهمية التجارية^(٢) . فأرسل إلى القبائل الموالية له من محایل وقنا والبحر ورجال ألمع لتتضم إلى جيشه ، وأخذ كل فريق يعد العدة لحرب الفريق الآخر.

علمت الدرعية بما آلت إليه الأمور في المنطقة الجنوبية من بلادها ، لذا فقد أرسلت إلى الطرفين وكلاهما تابع لها بإيقاف القتال حقناً للدماء ، والتوجه إلى الدرعية لحل المشكلات بين جميع الأطراف ، امتثل الجميع لأوامر الدرعية ، وأبقت الأمير عبد الوهاب والشريف حمود كلا على وضعه السابق ، أما عرار بن شار فقد أبقت في الدرعية حتى وفاته^(٣) .

وبإلقاء نظرة دقيقة على سياسة الدرعية إزاء عبد الوهاب والشريف حمود ، نلاحظ أنها كانت سياسة إيجاد توازن إستراتيجي في المنطقة ، وبالرغم من أنها كانت تثق في عبد الوهاب ثقة كبيرة ، إلا أن وجود شخص منافس وقوة متكافئة مع

(١) محمد العقيلي ، المرجع السابق ، ص ٤٥٩ .

(٢) *Burkhart , J.L , Travels in Arabia , Vol. 1 , London , 1829 , pp.319-320*

(٣) محمد العقيلي ، المرجع السابق ، ص ٤٦٠ .

قوة عبد الوهاب وهي قوة الشريف حمود ، يبعد أية محاولة للثورة أو الانفصال عن حكومة الدرعية ، أو عدم تنفيذ أوامرها .

استغل الأمير حمود ذلك الوضع الذي كان لصالحه ، إذ استقل عن الأمير عبد الوهاب استقلالاً كاملاً ، فتقدم نحو الأراضي اليمنية ، وأخضع أجزاء منها باسم الدولة السعودية الأولى^(١) .

بدأ الشريف حمود بعد تلك الانتصارات ، وبعد ذلك التوسع في الأراضي اليمنية الخصبة يحس في نفسه القوة ، إذ زادت موارده المالية ، كما بدأ يضيق بتوجيهات الدرعية ، ولا ينفذ معظمها ، مما دفع الدرعية إلى محاولة اختباره ، فوجهت أوامرها إليه بمهاجمة إمام صنعاء وإخضاع بلاده لحكومة الدرعية ، إلا أنه لم ينفذ الأوامر ، فاعتبرته الدرعية عصياناً لها^(٢) .

قررت الدولة ضرب الشريف حمود بعدوه اللدود عبد الوهاب أبو نقطة، فوجهت أوامرها إلى عبد الوهاب بتزعم جيوش الدولة السعودية الأولى في حربها ضد الشريف حمود ، فوجدها الأمير عبد الوهاب فرصة للانتقام من أبي عريش ، والقضاء عليه، ورغم انتصار القوات السعودية على جيش الشريف حمود ، إلا أنه تمكن من قتل الأمير عبد الوهاب في هجوم مركز على جناحه ، وذلك عام ١٢٢٤هـ في معركة وادي بيش^(٣) . ولا شك أن الشريف حمود قد أدرك بأن بقاء عبد الوهاب على رأس السلطة في عسير سيسبب له كثيراً من المتاعب هذا إذا لم يقض على إمارته في أبي عريش، لذا فإن التخلص منه يعتبر من وجهة نظر الشريف حمود انتصاراً له .

(١) المرجع نفسه ، ص ٤٥٢ ، ٤٥٣ .

(٢) . Philby , H . ST . Saudi Arabia , London , 1955 , p 113 .

(٣) إبراهيم الحفظي ، المرجع السابق ، ص ٧٦ .

علمت الدرعية بمعركة وادي بيش ونتائجها ، ومقتل الأمير عبد الوهاب أبي نقطة ، أحد قادتها المخلصين ، فأصدرت أوامرها بتعيين ابن عمه طامي بن شعيب أميراً على عسير وتهامة والمُع ، على أن يتولى قيادة الجيوش المحاربة للشريف حمود^(١) أدرك طامي أن للمال مفعولاً قوياً مع الناس ، كما أن للمواقع الإستراتيجية اقتصادياً دوراً مهماً في محاربة عدوه ، لذا قرر الاستيلاء على الموانئ المهمة التابعة للشريف حمود ، فسار طامي بقواته نحو اللحية والحديدة واستولى عليهما ، وفي طريق عودته قابله غزو رجال المُع الذين تأخروا عن الخروج معه ، فخيرهم بين غزو قلعة ضمد ، أو قلعة بندر جازان ، فاخترأوا الأخيرة ، وهجموا عليها ، وتمكنوا من القضاء على حاميتها ، وذلك عام ١٢٢٥هـ^(٢) .

وفي عام ١٢٢٦هـ أدرك الشريف حمود أن لا طاقة له في مقاومة جيوش الدولة السعودية الأولى ، فبذل جهوداً جبارة لدى بعض الوجهاء لإنجاح الوساطات بينه وبين الدولة السعودية ، وفعلاً تم الصلح على أن يتنازل عن حقوقه في صبيا وبيش والدرب ومعهم قبائل المُع للإمام سعود بن عبد العزيز ، مع التعهد بدفع خراج سنوي من واردات الموانئ اليمنية الواقعة تحت سلطته^(٣) .

قبائل المُع والحملة المصرية على الجزيرة العربية

هدأت الأمور السياسية والعسكرية في منطقة عسير السراة وتهامة بما فيها رجال المُع ، نظراً لنزول قوات محمد علي باشا إلى ينبع عام ١٢٢٦هـ ، للقضاء على الدولة السعودية الأولى ، وتركيز الدولة في جهودها على مجابهة ذلك الخطر

(١) عثمان بن بشر . عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ١ - الرياض ، ص ١٣٤ .

(٢) محمد العقيلي ، المرجع السابق ، ص ٤٦٩ .

(٣) هاشم النعمي ، المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

الداهم ، وأخذت الأمور تسير في غير صالح الدولة السعودية الأولى ، ولم يأت عام ١٢٢٨هـ إلا وغالبية الحجاز في قبضة قوات محمد علي باشا^(١) .

قدر محمد علي باشا بعد أن استولى على الحجاز أهمية جنوب الجزيرة العربية وبالذات قبائل غامد وزهران ، ومنطقة عسير [سراة وتهامة]؛ لكونها مركزاً لقوات كبيرة وموالية للدولة السعودية ، فأرسل حملة قوية للاستيلاء على ميناء القنفذة الرئيسي عام ١٢٢٩هـ ، إلا أن الأمير طامي بن شعيب سار بقواته ومن ضمنهم رجال ألمع إلى القنفذة ، واستطاع في هجوم مكثف الاستيلاء على آبار الماء ، مما اضطر قائد حملة قوات محمد علي باشا الانسحاب ، عائداً إلى جدة ، مخلفاً وراءه خسائر فادحة ، وغنائم من العتاد و الخيام^(٢) .

وقد حاول محمد علي باشا تجنب قواته تلك الهزيمة القاسية ، بإرسال فرقة من الخيالة للوقوف في وجه طامي بن شعيب ، إلا أنها أيضاً منيت بالهزيمة^(٣) .

لم يرض محمد علي باشا بالمواقف الأخيرة لقواته في المناطق الجنوبية ، كما أثرت عليه مواقف غامد وزهران المتصلبة ضد قواته ، فقرر إرسال حملة يقودها عابدين بك ، للاستيلاء على وادي زهران ، وطرد الحامية السعودية الموجودة فيها ، وهدم حصن بخروش بن علاش ، والقضاء عليه ، إلا أن تلك الحملة منيت أيضاً بهزيمة قاسية من قوات غامد وزهران ، تدعمهم قوات سعودية يقودها الأمير طامي ابن شعيب برعاياه من عسير وألمع وغيرهم^(٤) .

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة ، بحر برا ، محفظة ٣ ، وثيقة رقم ٥ ، في ٢٥ المحرم ١٢٣٨هـ .

(٢) د عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم. الدولة السعودية الأولى ، ج ١ - ٥ طه - القاهرة ، ١٤٠٧هـ ، ص ٣٢٥ .

(٣) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي. تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ج ٣ - بيروت ، ص ٤٦٣ .

(٤) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

وفي عام ١٢٣٠هـ حدثت معركة من أهم المعارك الفاصلة بين قوات محمد علي باشا ، وقوات الدولة السعودية الأولى في بسل بالقرب من تربة^(١) ، وانتهت بهزيمة القوات السعودية ومن ضمنها قوات عسير ورجال ألمع^(٢) .
بعد تلك الهزيمة تفرقت جيوش الدولة السعودية كل إلى منطقته ، استعداداً لمواجهة زحف قوات محمد علي باشا^(٣) .

في تلك الأثناء وصلت أوامر السلطان العثماني إلى محمد علي باشا بضرورة الزحف إلى جنوب الجزيرة العربية لأهميتها بالنسبة لنجد كمركز دفاع وإمداد ، والقضاء على قوة طامي بن شعيب ورجاله من عسير وألمع^(٤) .
انطلق محمد علي بقواته إلى عسير ، وفي طريقه تمكن من هزيمة غامد وزهران ، وقتل بخروش بن علاش ، حيث أرسل رأسه إلى الأستانة^(٥) ، كما تمكن من هزيمة القوات التي قابلته في تبالة وبيشة ومدينة الخميس^(٦) .

لم يتوان محمد علي عن هدفه الرئيسي ، وهو القضاء على طامي بن شعيب ورجاله في عسير ، وعند وصوله لم تسالمة أية قبيلة سوى ربيعة ورفيدة ، وثبتت مع طامي بن شعيب قبائل عسير السراة ورجال ألمع ، وبعد معارك قوية انهزم طامي ، وانتقل إلى رجال ألمع ، إلا أنه أحس بمطاردة قوات محمد علي له ، لذلك لجأ إلى

(١) عبد الرحمن الرافعي . عصر محمد علي - ط ٣ - القاهرة ، ١٣٧٠هـ ، ص ١١٢ .

(٢) دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفظة ٤ ، وثيقة رقم ٢٠ ، في ١ رجب ١٢٣٠هـ .

(٣) دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفظة ٤ ، وثيقة رقم ١٢ ، في ٣ ربيع الآخر ١٢٣٠هـ .

(٤) دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفظة ٤ ، وثيقة رقم ١٣٨ ، في ١٥ صفر ١٢٣٠هـ .

(٥) دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفظة ٤ ، وثيقة رقم ١٤ ، في ٩ جمادى الأولى ١٢٣٠هـ .

(٦) دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفظة ٤ ، وثيقة رقم ٢٩ ، في ٢٢ شعبان ١٢٣٠هـ .

إمارة عدوه اللدود حمود أبو مسمار، ظناً منه أن لجوءه إلى إمارته سيحميه، إلا أن رجال حمود قبضوا عليه، وأسلموه لرجال محمد علي الذين كانوا يطاردونه للقبض عليه، ومن ثم أرسل مع رأس بخروش بن علاش^(١) إلى مصر، حيث صلب هناك، وفي رواية أخرى أنه أرسل إلى مصر ومنها إلى الأستانة حيث لقي حتفه^(٢).
لقد قدم الأمير حمود أبو مسمار هدية جليلة لمحمد علي متمثلة في القائد الأمير طامي بن شعيب، ولا بد لتلك الهدية من ثمن، حيث طلب الأمير حمود من محمد علي باشا في سنة ١٢٣٠هـ، أن يعطيه منطقة رجال ألمع، ودرب بني شعبة، وبيش، وجزيرة فرسان^(٣).

عاد محمد علي من عسير إلى مكة المكرمة ماراً بمحاييل فالقنفذة، تاركاً وراءه حامية ينتشر أفرادها في عسير السراة ورجال ألمع، مزودة بالأسلحة والمدافع الثقيلة، كل هم رجالها سلب الأموال وإرهاق الأهالي، مما دفع بالأمير محمد بن أحمد المتحمي ابن عم الأمير طامي بن شعيب أن يتزعم الثورة في عسير، فهاجم الحامية التابعة لمحمد علي، وقضى عليها، واستولى على أسلحتها ومدافعها، وبدأ في تأديب القبائل المتمردة على طاعته كقبائل رجال ألمع ومحاييل والقنفذة، واتسم عهده بالشدّة والبطش^(٤).

حاول الأمير محمد بن أحمد الانتقام من الأمير حمود أبو مسمار الذي قبض رجاله على الأمير طامي بن شعيب، وأسلموه لقوات محمد علي، إلا أن قوات

(١) دار الوثائق القومية، بحر برا، محفوظة ٤، وثيقة رقم ١٤٨، في ٢١ رجب ١٢٣٠هـ.

(٢) د عبد الرحيم عبد الرحمن، المرجع السابق، ص ٣٢٩.

(٣) محمد العقيلي، المرجع السابق، ص ٤٧٣.

(٤) عبد الله بن علي بن مسفر. أخبار عسير - ١ ط١ - بيروت، ١٣٩٨هـ، ص ٧٤.

الأمير حمود كانت في انتظاره في درب بني شعبة ، ودارت معركة بين الطرفين .
انتصر فيها جيش الأمير حمود وذلك عام ١٢٣١هـ^(١) .

استاء محافظ الحجاز من ظهور محمد بن أحمد المتحمي ، وتزعّمه لثورة عسير ، ومما زاد في استيائه هجومه العنيف على الحامية في طبب ، وتشدده مع القبائل الموالية لقوات محمد علي باشا ، لذا فقد قرر إرسال حملة قوية بزعامة حسن باشا ، وذلك عام ١٢٣٢هـ ، وتمكنت من الوصول إلى طبب ، واختفى الأمير محمد بن أحمد في جبل تهلل ، وعادت الحملة بعد أن تركت حامية عسكرية هناك ، وحتى تضمن استمرار ولاء القبائل عينت حكماً جديداً في عسير^(٢) .

وفي العام نفسه ثارت بعض قبائل تهامة على الشريف حمود ، وطلبت بعضها النجدة من شريف مكة ، وقد تمكن الشريف حمود من إخضاع ثوار تهامة ، وفي الوقت نفسه وصل إليه وفد من عسير السراة يطلب منه توحيد جهود الطرفين ضد الأتراك^(٣) .

قرر الشريف حمود العودة إلى عاصمة إمارته بعد إخضاع ثوار تهامة وفي الطريق إلى أبي عريش وصلته أخبار بخروج قوة شريف مكة بحراً إلى القنفذة ومنها إلى حلي ابن يعقوب بقيادة الوزير جمعة ، وسارت تلك الحملة حتى استقر بها المقام في رجال ألمع ، فلما علم الشريف حمود بمقام تلك الحملة عاد باتجاهها ، وفي الحمة الواقعة بين بلاد رجال ألمع ودرب بني شعبة وقعت معركة عنيفة بين الوزير جمعة وبين الشريف حمود ومعه عسير السراة وتهامة ، وانتهت بانتصار القوات المشتركة^(٤) .

(١) هاشم النعمي ، المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

(٢) دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفظة ٤ ، وثيقة رقم ١٣٧ ، في ٢ ذو القعدة ١٢٣٢هـ .

(٣) إبراهيم الحفظي ، المرجع السابق ، ص ٧٠-٧١ .

(٤) عبد الله علي مسفر ، المرجع السابق ، ص ٧٤ .

بعد معركة الحمة بدأ تخطيط وزير الشريف حمود ، حسن بن خالد الذي كان متواجداً في ذلك الوقت في رجال ألمع ، للسيطرة على عسير السراة ، خصوصاً بعد أن أبدى زعماء عسير رغبتهم في عودة قوات الشريف حمود إلى ديارهم ، فصعد حسن بن خالد بقواته إلى عسير السراة ، وحصلت اشتباكات قوية بين الطرفين ، وطلب حسن بن خالد من زعماء عسير المفاوضة فتوقف القتال^(١) .

لا شك أن طلب حسن بن خالد للمفاوضات كان يقصد به تحقيق أمرين هما:

١ - كسب مزيد من الوقت لترتيب قواته ومعرفة ما يدور بين القبائل من خلافات عن طريق عيونه والمتعاونين معه .

٢ - وصول الإمدادات التي طلبها من الشريف حمود .

أسرع الشريف حمود بقواته من بكيل ونجران وصعدة إلى عسير عن طريق عقبة ضلع ، ولما وصل بتلك القوات الكبيرة عسير ، أعلن العسيريون ولاءهم للشريف حمود ، واستولى على مواقع القوات المصرية ، وقضى على نفوذهم ، وفي مطلع عام ١٢٣٣هـ دانت له عسير بعد أن توافدت عليه القبائل ومنها رجال ألمع معلنة السمع والطاعة^(٢) .

استاء قادة محمد علي باشا في الحجاز من ثورة عسير والشريف حمود ، فتكونت قوة كبيرة بقيادة سنان أغا ، تمكنت من احتلال حلي بن يعقوب ، وواصلت سيرها حتى الشعبين من أعمال رجال ألمع واحتلتها ، واتخذت عقبة تيه طريقاً لها إلى السراة ، واستقر بها المقام في شعار ، كما أرسل قوة من رجاله سلكت طريق عقبة رجم ، متخذة طريق الزهرا إلى طيب ، حيث تمكنت من احتلالها ، وعندها

(١) المرجع نفسه ، ص ٧٦ .

(٢) هاشم النعمي ، المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

تحرك سنان نحو الملاحه التي كان يربط فيها الشريف حمود بجزء من جيشه ، كما أرسل سنان أغا فرقة من جيشه نحو أبها ، حيث كانت فيها قوة عسيرية للدفاع عنها ، وكذلك في السقا وتهلل الذي ترابط به قوة من رجال ألمع ، وقوة أخرى من رجال ألمع مكلفة بضرورة إخراج الأتراك من محاليل ومن الشعبين ، وقطع طرق الإمدادات لقوات الأتراك فيما بين عسير والقنفذة^(١).

وفي الملاحه دارت معركة كبيرة بين قوات الشريف حمود وسنان أغا ، انتهت بانتصار الشريف حمود ، وقتل غالبية رجال الحملة المصرية، وفرار سنان أغا وكاشف صالح أغا إلى محاليل ، التي حاصرتها القبائل التابعة للشريف حمود على رأس قبائل رجال ألمع ، ثم تمكنوا من دخولها ، وقتلوا سنان وكاشف وجميع عساكرهم^(٢). أدرك محمد علي باشا صلابة قبائل عسير وقوة الشريف حمود ، لذا قرر إرسال قوة كبيرة لإخضاع ذلك الإقليم ، وتأديب الثوار فيه ، خصوصاً وأن الدرعية التي كانت بمثابة الرمز لأهالي عسير قد سقطت في يد إبراهيم باشا ، ابن محمد علي باشا ، وأسندت القيادة إلى خليل باشا ، الذي تمكن من هزيمة قوات حسن بن خالد قائد الشريف أحمد بن حمود ، الذي تولى بعد وفاة أبيه في عسير ، وأخيراً تمكنت قوات محمد علي من قتل حسن بن خالد في معركة جبل شكر في شهر شعبان ١٢٣٤هـ^(٣).

وفي عام ١٢٣٦هـ ثارت قبائل عسير ضد القوات المصرية بزعامة علي بن مجتل وسعيد ابن مسلط ، وكان هناك اتصال مع الإمام تركي بن عبد الله آل سعود

(١) إبراهيم الحفظي ، المرجع السابق ، ص ٨٠ .

(٢) دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفظة ٥ ، وثيقة رقم ٧٢ ، في ١٣ رجب ١٢٣٢هـ .

(٣) دار الوثائق القومية ، معية تركي ، دفتر ٤ ، وثيقة رقم ١٣ ، في ١٥ رجب ١٢٣٤هـ .

في نجد للقيام بثورة ضد القوات المصرية في كل من عسير ونجد، وقد انضم مع ثورة عسير العديد من القبائل ومنهم أجزاء من رجال المَع وبالذات ناصفة جونة^(١). قوي مركز القيادة الجديدة في عسير بتأييد القبائل لها ، فأرسل علي بن مجثل برسالة مع مانع باشا إلى أحمد باشا والي الحجاز جاء فيها (... تأخذون منا ثمانية آلاف ريال كل سنة وتخلو درب اليمن مفتوح)^(٢)، إلا أن انقسام القبائل في عسير ما بين مؤيد ومعارض أضعف الجبهة الداخلية ، ودفع بالقيادة المصرية إلى إرسال المزيد من الحملات ، حققت في النهاية أن أخضعت المنطقة لولاية الحجاز . هدأت الأوضاع في عسير بعد خضوعها تحت إمرة الشريف محمد بن عون، الذي أناب عنه أخاه هزاع بن عون بحدودها السياسية الممتدة ما بين سواحل القحمة فحلي بن يعقوب غرباً حتى تخوم تثليث شرقاً ، ومن الشمال ما بين ضواحي الحجر فالقنفذة حتى بلاد قحطان فأدنى نجران جنوباً^(٣). أي أن رجال المَع خضعت في تلك الحقبة لحكم الشريف محمد بن عون .

لم يستمر ذلك الوضع طويلاً ، فقد قرر سعيد بن مسلط شيخ قبيلة آل ناجح في عسير وقائد غزو بني مغيد الثورة ضد الشريف محمد بن عون نتيجة للإهانة التي وجهها الأخير له ، لتأخره عن حضور تجمع الغزو ضد الدواسر ، فعاد سعيد وقومه إلى بلاد عسير ، وأعلنوا الثورة^(٤) ، فانضم معهم رجال المَع اليمن ، خصوصاً بني مسعود وبني بكر ، وعقدوا مؤتمراً سرياً في المجموعة من بلاد بني مغيد وذلك عام ١٢٣٨ هـ ، تقرر فيه ما يلي :

- (١) دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفظة ١٦ ، وثيقة رقم ١٢٠ ، بدون تاريخ .
- (٢) دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفظة ١٦ ، وثيقة رقم ١١٩ ، في ١٢ رجب ١٢٣٨ هـ .
- (٣) هاشم النعمي ، المرجع السابق ، ص ١٧٠ .
- (٤) دار الوثائق القومية ، معية تركي ، دفتر ١٤ ، وثيقة رقم ٢٠ ، في ١٢ رجب ١٢٣٨ هـ .

- ١ - اختيار سعيد بن مسلط أميراً في عسير .
 - ٢ - القيام بالثورة ضد حكم الشريف محمد بن عون في عسير .
 - ٣ - الهجوم على الحامية الموجودة في طبب ، وإخراجها .
 - ٤ - الدفاع عن عسير ضد أي هجوم تتعرض له^(١) .
- نجد رجال سعيد بن مسلط وعلي بن مجتل من عسير السراة ورجال ألمع في الهجوم «على عساكر المشاة الموجودين في عسير ، وقتلوا وجرحوا مقدار مائة منهم والتجأ الباقي إلى قلعتي حسن وطبب»^(٢) ، ثم تمكن العسيريون بعد عدة أيام من إخراج الحامية الموجودة في طبب صلحاً ، والاستيلاء عليها عام ١٢٣٨هـ .
- تجدد الإشارة إلى أن بؤادر الثورة عند زعماء عسير كانت موجودة حتى قبل الإهانة التي تلقاها سعيد بن مسلط من الشريف محمد بن عون ، لكنها كانت الدافع الذي أشعل الثورة ، يدل على ذلك الرسالة التي أرسلها علي بن مجتل إلى السيد محمد عقيل العلوي عام ١٢٣٨هـ ، أي قبل الإهانة بعدة أشهر ، يخبره فيها بأهم القبائل التي تؤيدهم ، ومنهم رجال ألمع ، ويؤكد (وأما الباشا فلا نرى الخط عنده وجه ، لأننا ما نعلم له عندنا من المطالب شيء ، فإن أراد العافية والسكون فيخيلنا ويخلي سبيلنا ، وأن يدور الفتى ومراده يوازيها عند طوارفنا فنستعين عليه بقاصم الجبابر فهو يكفي من توكل عليه)^(٣) . وأيضاً ما أكده محمد علي باشا بأن (طائفة الأروام المتمكنة في الجزائر والسواحل عصت على الدولة العلية ، وبحسب مأموريتنا مشغولين لتأديبهم ، وأثناء ذلك تجاسر أشقياء عسير على تلك الفتنة)^(٤) .

(١) هاشم النعمي ، المرجع السابق ، ص ١٧١-١٧٢ .

(٢) دار الوثائق القومية ، معية تركي ، دفتر ١٤ ، وثيقة رقم ٢٠ ، في ١٢ رجب ١٢٣٨هـ .

(٣) دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفظة ٨ ، وثيقة رقم ٩٣ ، في ٤ ربيع الآخر ١٢٣٨هـ .

(٤) دار الوثائق القومية ، معية تركي ، دفتر ١٤ ، وثيقة رقم ١٥٣ (أمر كريم) ، في ٥ ذوالحجة ١٢٣٨هـ .

قرر محمد علي باشا بعد أن نما إلى علمه مقتل رجاله المائة في عسير في ١٥ جمادى الأولى ١٢٣٨هـ، أن يسند القيادة إلى ابنه أحمد باشا ، وطلب من الشريف محمد بن عون أمير عسير وأخيه الشريف راجح التعاون معه لتأديب ثوار عسير^(١) ، وأنه مصمم على ذلك (ونهاية الكلام مصمم ومحقق أمر تأديبهم)^(٢).

خرج أحمد باشا محافظ الحجاز ، ومعه الشريف محمد بن عون باتجاه عسير في جيش كبير وذلك في شهر ربيع الآخر ١٢٣٩هـ ، وسلكوا طريق العقيق بمنطقة الباحة فبيشة فخميس مشيط حتى وصلوا إلى السقا مقر سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل ، فخرجوا منها ومعهم قرابة ألفي مقاتل من بني مفيد ورجال المَع (ونزلا في سفح المكان المسمى [عقبة] - المقصود عقبة ريدة - وهناك اعتصما .. وبينما نحن ومعنا خمسة وعشرون فارساً نكشف أطراف العقبة وأسفلها وإذا بالأشقياء المنحوسين يرموننا بالبنادق من الأسفل)^(٣) ، خصوصاً وأن أتباع سعيد وعلي قد بنوا المتاريس في أسفل العقبة وأعلىها، واستقر سعيد وعلي في منتصف عقبة ريدة، وأدرك أحمد يكن أن الصعود إلى العقبة أو حتى النزول إليها تصرف يحيطه كثير من المخاطر، لذا فقد انتظر حتى وصول المزيد من القوات، سواء من القنفذة، أو الموجودة في طيب، وقسم الجيش إلى ثلاثة أقسام ، القسم الأول ومهمته الهجوم على علي بن مجثل وأتباعه، والقسم الثاني مهمته الهجوم على سعيد بن مسلط وأتباعه، والقسم الثالث من قوات الترك المشاة ومهمته الهجوم على القرى المؤيدة لعلي وسعيد، (وابتداً رجال الحرب بالهجوم على العدو الرديء الفعال من

(١) دار الوثائق القومية ، معية تركي ، دفتر ١٤ ، وثيقة رقم ٢٠ ، في ١٢ رجب ١٢٣٨هـ.

(٢) دار الوثائق القومية، معية تركي، دفتر ١٤، وثيقة رقم ١٥٣ (أمر كريم)، في ٥ ذوالحجة ١٢٣٨هـ.

(٣) دار الوثائق القومية ، بحر برا، محفظة ٩ ، وثيقة رقم ١١ ، في ٢١ رجب ، ١٢٣٩هـ.

ثلاث جهات . وعندما قربنا من المتاريس التي بأعلا الجبل ، وأصليناهم ناراً مستديمة ... لم يقووا على الثبات ، ففروا إلى المتاريس التي في منتصف الجبل ، فتعقبتهم العساكر إلى أسفل الجبل ، وظل الحرب والقتال مدة يوم كامل ، وأخيراً انهزموا وفروا إلى الجبال ، وتم إحراق ما يتجاوز مئتي قرية من قراهم الكائنة في أسفل الجبل ، وأطراف السيل ، وبعد يومين عدنا إلى مقر الجيش ، وطلب المقهورون الأمان ، وأعطى الأمان إلى الجميع^(١) .

لقد كان أتباع محمد علي باشا يتصورون أنهم بهذا الأسلوب الوحشي في محاربة قبائل عسير من إحراق القرى وتدمير المزارع وتشريد الأهالي سيخضعون الناس لسلطانهم، ويقضون على ثورة القبائل، واستمرار عصيانهم ، وعدم خضوعهم لسلطة محمد علي باشا، فأسلوب القمع الوحشي وتدمير البنى التحتية كحرب اقتصادية لا تجدي مع القبائل التي ترفض الخضوع تحت طائل السلاح لأي سلطة يرون فيها أنها أجنبية عنهم مهما كانت النتائج .

موقف ألمع بعد هزيمة قبائل عسير عام ١٢٣٩هـ

حاول أحمد باشا يكن أن يستغل هزيمة قبائل عسير بأن يفرض عليهم تسليم أسلحتهم بالقوة ، وإلا فإنه سيذيقهم الويل ، وما علم أن العربي يفضل الموت على تسليم سلاحه ، فعار عليه طيلة الدهر أن يسلب سلاحه منه ، وهذا ما أشار إليه أحمد يكن في رسالته إلى المعية السنية: إذ يوضح ما دار بينه وبين قبائل عسير (حاربتهموني مرتين ، وتسببت في هدر دماء مخلوقات كثيرة ، ... فلا يقتضي بعد الآن أن توجد بيدكم بنادق ، فلتذهبوا بأدبكم وشرفكم لتسلموها، وإلا فإنتم تعرفون، وعندما أدرك كل منهم هذه الكلمات الشديدة أجابوا جميعهم نرضى بقتلنا ولا

(١) دار الوثائق القومية ، بحر برا، محفظة ٩ ، وثيقة رقم ١٢ ، في ٢١ رجب ١٢٣٩هـ.

نعطي بنادقنا ، وفر كل منهم إلى اتجاه الجبال نحو قراهم ، وحيث إنه من المعلوم لعبدكم أنه مهما بذلنا من الجهد والسعي فإن هذا الذي نريده لن يكون ، وحيث إنهم وسطوا من قبلك الشريف محمد بن عون وجميع الشرفاء المعددي الخواطر ، أبطل الكلام عن أخذ البنادق وجمعت كافة أهل عسير ووضع عليهم جزاء^(١) .

تقرر أن يقوم مشايخ عسير بالتوجه بعد حج عام ١٢٣٩هـ إلى مكة المكرمة ويتفق معهم على الشروط المقررة بعد هزيمة سعيد بن مسلط ورجاله ، ولكن مشايخ عسير لم يحضروا إلى مكة المكرمة ، وإنما وردت عدة خطابات من سعيد بن مسلط يحملها شيخ من كبار مشايخ عسير وذلك في ١٥ صفر ١٢٤٠هـ^(٢) .

وعلى الرغم من الرسائل التي كان يرسلها سعيد بن مسلط ، ويوضح فيها التزام أهالي عسير بالشروط التي فرضها أحمد باشا ، إلا أنه كان يقوم بعدة أمور توحى باستعداده للمواجهة العسكرية لأي هجوم جديد من قبل أحمد باشا وجنده على حدود بلاده ، ومن أهم تلك الأمور :

١ - إنشاء القلاع العسكرية ، وحصون المراقبة في عسير ، تحسباً لأي عدوان أو هجوم عسكري .

٢ - ترتيب قواته ورجاله من القبائل التابعة له على مداخل الطرق الرئيسية من وإلى عسير .

٣ - إرسال خطاب سري إلى الأمير تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود الذي تولى الحكم في نجد بعد انهيار الدولة السعودية الأولى على يد إبراهيم باشا ابن محمد علي عام ١٢٣٣هـ^(٣) .

(١) دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفوظة ٩ ، وثيقة رقم ١٢ ، في ٢١ رجب ١٢٣٩هـ .

(٢) دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفوظة ٩ ، وثيقة رقم ٦٦ ، في ٧ ربيع الأول ١٢٤٠هـ .

(٣) دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفوظة ٩ ، وثيقة رقم ٦٦ ، في ٧ ربيع الأول ١٢٤٠هـ .

على أية حال رتب أحمد يكن محافظ الحجاز أموره العسكرية حيال الإمام تركي بن عبد الله إمام نجد ، والأمير سعيد بن مسلط أمير عسير ، فالموقف من الأول (حررنا ورقة إلى الدويش ... ليفزوا جماعة تركي بن عبد الله ، وأرسلناها إليه مع كبود وشال كشميري - أنواع من الهدايا - ، لكن أرى أنه إذا أرسل أمر سام من مولانا إلى الدويش يكون ذلك باعثاً قوياً لسعيه وغيرته)^(١).

أما الموقف من أمير عسير فبعد أن تحيز إلى جانبه وبشكل واضح بنو مغيد ورجال ألمع قوي شأنه ، لذا فقد كان يرى أحمد يكن من الضروري أن يرسل إلى عسير جيشاً من قسمين ، قسم يزحف إلى عسير ماراً ببني شهر ، وقسم آخر يزحف من جهة رجال ألمع^(٢) .

سير أحمد يكن قواته باتجاه عسير في العشرين من جمادى الآخرة ١٢٤٠ هـ ، حيث غادر القسم الأول القنفذة إلى بني شهر ، بقيادة الشريف محمد بن عون الذي زحف في العشرين من رمضان إلى (بني رفيدة فقتلوا خمسين رجلاً ، وأسروا خمسين ، وأحرقوا قراهم)^(٣) . أما القسم الثاني فسار إلى رجال ألمع ، وقد كان لهذه القوة الكبيرة والمزودة بالأسلحة المتطورة أثر كبير في نفوس بعض مشايخ عسير وكبرائها مما دفعهم إلى طلب العهد والأمان^(٤) .

كما أن محمد علي باشا حرص على تثبيت وتشجيع قواته ، حيث أرسل إلى أحمد يكن مئة ألف ريال فرنسي ، ووعد بالمزيد^(٥) .

(١) الوثيقة نفسها .

(٢) الوثيقة نفسها .

(٣) دار الوثائق القومية ، معية تركي ، دفتر ٢٠ ، وثيقة رقم ١٥٣ ، في ٢٤ المحرم ١٢٤٠ هـ .

(٤) دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفظة ٩ ، وثيقة رقم ٨٧ ، في ١١ شعبان ١٢٤٠ هـ .

(٥) دار الوثائق القومية ، معية تركي ، دفتر ٢٢ ، وثيقة رقم ٩١ ، في ٢٧ رمضان ١٢٤٠ هـ .

وصلت قوات أحمد يكن إلى قلب عسير ، حيث أقاموا في مناظر عدة أيام ، وذلك لعدة أسباب:

- ١ - إيجاد الذخيرة الكافية ، وانتظار ما يصل من إمدادات من الحجاز .
- ٢ - معرفة القبائل الموالية والمعادية لقوات محمد علي باشا .
- ٣ - أخذ قسط من الراحة ، بعد عناء سفر طويل وشاق ، نظراً لصعوبة الطريق ، وقلة الجبال الكافية لنقل أسلحة وأغذية الجند .

لقد توافدت غالبية قبائل عسير إلى معسكر أحمد يكن لطلب الأمان ، عدا رجال ألمع الذين لم يرسلوا أحداً منهم إلى معسكر أحمد يكن ، ولم يطلبوا الأمان ، وظلوا على موقفهم من الثورة والعصيان^(١).

أما علي بن مجثل وسعيد بن مسلط فقد وصلت رسلهما إلى أحمد يكن ، يطلبان الأمان لهما ، ولرجال ألمع (وأن ينتصب الشقي علي بن مجثل أميراً عليهم ، وطلبوا الأمان على هذا الوجه ، ولما كانت مطالبهم غير لائقة ، فقد أجبتهم وأفهمتهم أنه لا يعطى من قبلنا أماناً مثل هذا فإذا رغب الشقي المذكور أعطي الأمان له نفسه)^(٢) .

لم يزرع رجال محمد علي في مواقفهم السابقة من قبائل عسير وغيرهم في الجزيرة العربية أي إيجابيات ، أو علاقات ثقة متبادلة خلال إعطائهم الأمان ، بل كان الغدر ديدنهم، مما حدا بالقادة والقبائل إلى عدم الاستجابة لنداءات الأمان ، أو تصديق ما كان يردده قادة محمد علي من أن هدفهم هو الأمن والاستقرار ، كيف لا والأحداث السابقة قد برهنت على صحة ما نقول ، بل وحتى رسائلهم بينوا فيها

(١) دار الوثائق القومية ، معيه تركي ، دفتر ٢٠ ، وثيقة رقم ١٥٢ ، في ٢٤ المحرم ١٢٤١هـ .
(٢) دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفظة ٩ ، وثيقة رقم ١٠٦ ، في ٣ ذو القعدة ١٢٤٠هـ .

أساليبهم الملتوية من الغدر والخيانة ، إذ أكد محافظ مكة أحمد يكن أن الهدف من إعطائهم الأمان هو القبض على علي بن مجتل والتأكيد على ضرورة إخضاع زعيمه عسير ، ومعهما رجال ألمع^(١) .

لم يكن إخضاع زعيمه عسير أو رجال ألمع بالأمر الهين أمام أحمد يكن ، فقد تمكن رجال ألمع من قطع طريق تهامة أمام قوات أحمد يكن ، وسيطروا على الطرق المهمة ، وبالذات ما بين عتود وعقبة مناظر ، فالأمن كان مفقوداً وغير مستتب بالنسبة لتحركات رجال أحمد يكن في تلك الأنحاء^(٢) .

قرر أحمد يكن إنزال العساكر والعرب من عقبة العوص للزحف على رجال ألمع ، وبالذات ريده ، التي تعتبر المركز الرئيس لعلي بن مجتل ، وسعيد بن مسلط ، واتجه بفرقة من جيشه إلى السقا ، المركز الرئيس لزعيمه عسير ، بينما ترك مرضى الجيش ، ومدفعاً واحداً ، وبعض الرصاص ، وخمسين فارساً في مناظر^(٣) . نزل العسكر العرب من العقبة بزعمامة الشيخ مانع ، شيخ طبيب ، وشرعوا يقاتلون رجال ألمع ، ودارت معركة عنيفة ، قتل فيها عشرون من العسكر العرب ، ووقع قائدهم الشيخ مانع في الأسر ، مما أثر على معنوية العساكر العرب الذين ولوا هاربين باتجاه قوة أحمد يكن في عقبة العوص ، عندها أدرك أحمد يكن ضرورة التصرف السريع ، وعدم تضييع الوقت؛ لأنهم أمام قوة لا يستهان بها ، لذا أرسل ابن شيخ خميس مشيط إلى مناظر لإحضار المدفع الذي هناك إلى عقبة العوص ، عندها قرر علي بن مجتل ومن معه من رجال ألمع النزول من مرتفعات

(١) دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفظة ٩ ، وثيقة رقم ١٠٦ ، في ٣ ذو القعدة ١٢٤٠هـ .

(٢) دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفظة ٩ ، وثيقة رقم ١٢١ ، في ١٣ ذو الحجة ١٢٤٠هـ .

(٣) دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفظة ١٠ ، وثيقة رقم ١٤ ، في ١١ المحرم ١٢٤١هـ .

السقا حيث كانوا متحصنين ، وانهالوا بالرصاص على قوات أحمد يكن ، فأجمع رأي قاداته على أفضلية تجميع قواتهم ، والهجوم دفعة واحدة ، وقد تم لهم ذلك ، وسارت القوات باتجاه السودة في آخر ذي القعدة ١٢٤٠هـ^(١) .

لقد كان هناك إصرار من أحمد يكن على إخضاع عسير لسلطته مهما كلفه ذلك من ثمن ، ولعل الدافع من وراء ذلك هو الظهور أمام محمد علي باشا بمظهر القائد الذي ينفذ أوامر قاداته بكل حزم ، والذي لا يهزم ؛ لأنه لو تقاعس أو انسحب فربما كان جزاؤه المحاسبة والعزل ، وفي الطرف الثاني كانت القيادة في عسير ومعهم رجال الماع أشد حماساً في الدفاع عن بلادهم ، وعدم الاستسلام المهين ، مهما كانت الخسائر، فالتضحيات في سبيل استقلال أوطانهم تهون .

لما أحس المتحصنون في جبال السودة من رجال عسير وأماع بخطر زحف قوات أحمد يكن نحوهم خرجوا من تحصيناتهم، وأخذوا في إطلاق رصاصهم صوب القوات الزاحفة ، ولعل عدم انقطاع الإمدادات إليهم من جهة رجال الماع كان سبباً رئيساً في الإصرار على المقاومة مما هو في نفوس رجال أحمد يكن ، الذين انسحبوا دون نظام تحت وابل رصاص رجال عسير وأماع، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى شدة هطول الأمطار التي أفسدت بنادقهم، وبالرغم من محاولة أحمد يكن لترتيب الجيش (فلم يعبأوا بترتيب الحرب، ولا برئيس العساكر، وجعلوا يسرعون للوصول إلى قرية السودة، حيث الجيش يريد وقاية نفسه، وإنني وإن كنت قد ألحيت عليهم بالرجوع، ومقابلة العدو ، وطلبت منهم السير بالتأني ، إلا أن ذلك لم يفد شيئاً ، وتعقبنا العدو من الخلف ، وقتلوا رجالاً من عساكرنا ، ووصلنا إلى قرية السودة ، ونزلنا جميعاً

(١) دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفظة ١٠ ، وثيقة رقم ١٤ ، في ١١ المحرم ١٢٤١هـ .

فيها ، إلا أنه نظراً لخطورة المحل المذكور الذي يجد فيه العدو تقوية ، فقد خرجنا من السودة باتجاه العقبة ، حيث يقيم الميرالاي الثاني يوسف آغا ، وقد وجد العدو الفرصة من رعب عساكرنا ، وتشتتها من المطر ، فأغار على بعض حمولتنا السائرة في الطريق ونهبها ، وقد علم الأشقياء بحالتنا المشتتة من كل الوجوه ، وبينما أخذوا يظهرون بيارقهم المنحوسة ، وعساكرهم المنحوسة ، وينزلون إلى أسفل، فإنه لم يكن لدى العساكر الموجودة بمعية الميرالاي المومي إليه ، ولا مع العساكر التي وردت مع عبدكم من الجبخانة ما يكفي إلا لمحاربة ساعة، أو ساعتين^(١).

لم تكن معاناة أحمد باشا بأقل من معاناة رجال عسير ، حيث أن الخسائر من الطرفين كانت كبيرة ، والقتلى والجرحى يملأون الطرقات ، لذا فإن أي بادرة أمل للصلح ما كانت ستفرض من الطرفين ، فأحمد يكن كان يدرك قلة الذخيرة ؛ نظراً لأن رجال عسير قد ضبطوا طرق الإمدادات لجيش أحمد يكن ، وسيطروا عليها ، أما قادة عسير فقد أيقنوا أن أحمد يكن بعد هزيمته قد رتب جيشه، ونظم صفوفه، وبدأ يستعد للحرب ، ومقابلة جيش عسير مرة أخرى ، إضافة إلى أنهم قد حققوا شيئاً كبيراً بإلحاق هزيمة قاسية بجيش أحمد يكن ، لذا فإنهم إذا أوفدوا أحد زعمائهم إلى أحمد يكن للصلح فإنه لن يرفض ، وبذلك يحققون ما يريدون دون مزيد من الحروب والدمار . فأرسل قادة عسير الشيخ حسن بن مشاري أحد شيوخ قبائل ألمع الذين يعتمد عليهم علي وسعيد ، وقد تقابل مع أحمد يكن ، وطلب منه العفو ، وعن علي وسعيد ، فأعطي الأمان له ولعلي بن مجثل وسعيد بن مسلط^(٢).

لم يكن إعطاء الأمان بمطلب أساس لزعماء عسير ورجال ألمع ، فهناك أشياء

(١) دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفظة ١٠ ، وثيقة رقم ١٤ ، في ١١ المحرم ١٢٤١هـ .

(٢) دار الوثائق القومية ، بحربرا ، محفظة ١٠ ، وثيقة رقم ١٤ ، في ١١ المحرم ١٢٤١هـ .

مهمة من وجهة نظرهم ، ولعل من أبرزها الاعتراف بما لزعماء عسير من القبائل التابعة لهم ، وأيضاً التخلص من أطماع الأشراف في عسير ، لذا فقد اتجه علي بن مجتل إلى معسكر أحمد يكن ، وطلب أن تحال إليه (أبو العريش - أبو عريش - ورجال ألمع وبارق وبني الأحمر وبني الأسمر - بللحمر وبللسمر - ، قلت أن ولي النعم سيدنا - يقصد محمد علي باشا - قد أعطى أبو العريش إلى الشريف علي بن حيدر ، وبارق أعطيت لجمعة أغا ، فلتكف يدك عن المداخلة ، والتعرض لهما ، ومحایل ورجال ألمع محالة إلى حسن بن مشاري ، وقلت قد أحلت باقي عسير وبني الأحمر وبني الأسمر إلى علي بن مجتل ، فقال علي بن مجتل أريد أبو العريش وبارق أيضاً ، فأجبتة لا يمكن إعطاء أبو العريش وبارق)^(١) .

لما أدرك علي بن مجتل إصرار أحمد يكن على موقفه من توزيع القبائل قبل بالأمر الواقع ، وتعهد بالدخول تحت الطاعة ، وفي المقابل قبل أحمد يكن بعدم إقامة أي شريف من الأشراف في عسير .

لم تمض مدة بسيطة إلا وأخبار نقض الصلح ، واستعدادات محافظ الحجاز ، والشريف محمد بن عون تصل إلى أسماع زعماء عسير ، لذا أرسل سعيد بن مسلط إلى الشريف محمد بن عون رسالة يوضح له فيها الصلح الذي تم ، ويستفسر عن مدى صحة نقض العهد جاء فيها (من سعيد بن مسلط وعلي بن مجتل إلى الجنب العالي ، والمآب العالي ، فرع الشجرة الزكية ، الشريف المحترم المكرم الهمام محمد بن عون سلمه الله وعافاه آمين .. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد لا يخفأك وصول محمد بن مرزوق وربعه من عندكم ، ورأينا أن نعجل بأجوبات خطوطكم مع الولد أحمد بن فضيل على أن الصلح تم ... ، فإن كان الصلح استتم على مظلومون -

(١) الوثيقة نفسها .

مضمون - ما راح عليه الربع فعرفونا ، وان كنتم خالفتم عنه فعرفونا ، والنقا بقا ... كذلك شاع في بلادنا خطوط من الأشراف الشنابرة ، وكذلك الوزير جمعه إلى ناس لا يدفعون ولا ينفعون ... وأظهروا أن الجنود والجروود مقبلة ٠ تهامة وسراة ، وان هذا الصلح خديعة منكم ومن الباشا^(١) .

ومن الرسالة السابقة نستطيع أن ندرك أن زعماء عسير كانوا مستعدين لأي ظرف طارئ ، وكما يفضلون السلم، فإنهم أيضاً لا يأبهون بالحرب ، وكعادة العربي في حروبه لا يحب الخيانة أو الضرب من الخلف ، كما أن زعماء عسير ركزوا على ضرورة معرفة ما إذا كان الصلح مستمراً أم لا ، وهل ذلك الصلح خدعة كما يشيع بين الناس ، فالحرب لا تخيفهم كما يؤكدون في أكثر من موقف .

لم تكن إشاعة نقض الصلح إلا صدى لرسالة محمد علي باشا إلى محافظ جدة التي تحمل في طياتها عدم رضاه بما حدث في عسير من هزيمة أعقبها صلح، واستعداده لمواصلة القتال ، وتأديب زعماء عسير ورجالهم ومنهم رجال ألمع التي تحمي الزعيمين وتشدهما بالرجال إذ يقول: (علمنا بالبداهة أن الجيش هزم ، واضمحل ، فكتبنا بالحال إلى كتخدانا ، وإلى ناظر الجهادية بالكيفية ، وأكدنا عليه بتعبئة الألاي التاسع ، وإعداد ما يلزم له ، وإكمال نواقصه بأسرع ما يكون ، وأنه سيهيء للسفر في مدى خمسة أيام إلى عشرة ، وسيعزز بالألاي العاشر أيضاً ... فمن اللازم إعلام ولدنا الباشا الموماً إليه ... وعليه فإن مطلوبنا منكم أن ترسلوا له كتابنا هذا بما كان ، لكي يبقى على جلادته وثباته ، ولا يتردد في خاطره شيء يضعف همته ، ولكي يهتم كل الاهتمام بالتكامل بالعصاة^(٢) .

(١) دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفظة ٦ ، وثيقة رقم ١٢٧ ، بدون تاريخ .

(٢) دار الوثائق القومية ، معية تركي ، دفتر ٢٠ ، وثيقة رقم ١٧٢ ، في ٦ صفر ١٢٤١هـ .

لقد قويت شوكة أمراء عسير ، وذاع صيتهم بمساندة ومؤازرة حقيقية وصلبة من قبائل رجال ألمع ، لذلك فعندما استنجد أمير أبي عريش ببيام ضد بعض قبائله التي رفضت استقبال أمرائه المعينين أبدى علي بن مجتل رغبته في التوسط بين الشريف علي بن حيدر وتلك القبائل التي طلبت النجدة منه^(١) ، وقد اتفق الزعيمان العسيريان على أن يتجه سعيد بن مسلط على رأس قوة كبيرة من قبائل عسير وألمع إلى علي بن حيدر (لكن يقال أن ذلك على أمل ضبط أبي عريش لأنه - أي علي بن مجتل - سبق أن طلب أبو عريش من ولدكم الباشا ، وكان ولدكم الباشا قد رد هذا الطلب قائلاً : إن مولانا هو الذي أعطى أبو عريش للشريف علي بن حيدر)^(٢) .

أدرك علي بن مجتل أنه لو أقدم على هذا التصرف دون علم أحمد باشا فربما تكون النتائج السلبية أكثر من إيجابيات التوجه إلى أبي عريش ، لذا فقد أرسل اثنين من رجاله إلى أحمد يكن محافظ الحجاز يخبره بنواياه في رغبته إرسال رجاله إلى الشريف علي بن حيدر ، إلا أن أحمد يكن (قال للرجلين اللذين حضرا: ليس لعلّي وأخيه سعيد أن يقوموا بهذا العمل غير المناسب ، ثم حررت الورقة اللازمة المحتوية على الأمر بمنع إرسال سعيد إلى تلك الجهة ...) ^(٣) .

هدأت الأمور في عسير، وتلاشت الحملات العسكرية ضدها إلى أن توفي أميرها سعيد بن مسلط في شهر صفر ١٢٤٢هـ ، بعد حكم دام قرابة ثلاثة أعوام وتسعة أشهر، وكان يساعده ويشد من أزره ابن عمه علي بن مجتل الذي تولى إمارة عسير بعد سعيد، لتبدأ بعد ذلك مرحلة تاريخية مهمة في علاقة عسير بقوات محمد علي باشا .

- (١) دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفظة ١٠ ، وثيقة رقم ٦٨ ، في ٩ ربيع الآخر ١٢٤١هـ .
- (٢) دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفظة ١٠ ، وثيقة رقم ٤٩ ، في ١٩ ربيع الأول ١٢٤١هـ .
- (٣) دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفظة ١٠ ، وثيقة رقم ٦٨ ، في ٩ ربيع الآخر ١٢٤١هـ .

الخاتمة

سعى محمد علي باشا إلى فرض سيطرته على شبه الجزيرة العربية : لتكوين إمبراطورية عربية يحكمها مستقلاً عن السلطان العثماني : إلا أن القبائل العربية في شبه الجزيرة وقفت في وجه قواته موقفاً صلباً ، وبالرغم من الحملات الكثيرة لم تستسلم تلك القبائل، ولم تعلن ولاءها بصورة دائمة لمحمد علي ، مع الأخذ بعين الاعتبار الفارق الكبير بين الجانبين من حيث التسليح والتدريب وتوافر الإمكانيات وتعدد وسائل الإمدادات .. وكانت قبائل ألمع من تلك القبائل التي رفضت الدخول في طاعة قوات محمد علي أو الانصياع لتهديداته .

لم تقف قبائل ألمع موقف المتفرج عند وصول قوات محمد علي إلى شبه الجزيرة العربية ، بل انضمت إلى القوات السعودية لمجابهة تلك القوات التابعة لمحمد علي ، وبعد أن تمكنت الأخيرة من الاستيلاء على الحجاز من يد القوات السعودية انسحبت قوات ألمع مع إخوانهم من عسير للدفاع عن مناطقهم ضد تهديدات محمد علي ، وعند وصول طلائع قواته إلى عسير هبت قبائل ألمع للانضمام مع العسيريين في مقاومة احتلال قوات محمد علي لبلادهم .

لقد تمكنت من الحصول على كميات جيدة من الوثائق شبه اليومية عن تحركات تلك القوات ، وتم استخلاص معلومات البحث من تلك الوثائق ، ثم تم توظيفها بشكل غطى مساحة البحث في كافة جوانبه ، ولعل من أبرز النتائج التي توصلت إليها الموقف البطولي لتلك القبائل ضد قوات محمد علي والشريف محمد ابن عون ورفضهم لكل أساليب التهديد من المحتلين لفرض الخضوع والاستسلام من تلك القبائل ؛ ذلك الرفض الذي لا يقاس بثمن ، حيث رفضوا

تسليم بنادقهم مقابل فك الحصار وإيقاف الحملات العسكرية ضدهم . إذ أكدوا أن الموت دون تحقيق ذلك الهدف ، مما دفع بتلك القوات أن تتصاع لرغبات القبائل في عدم نزع السلاح من أيديهم .

وأخيراً ونتيجة للخسائر الفادحة في صفوف قوات محمد علي باشا ، فقد قبل قادة الجند عقد صلح مع زعماء عسير وألمع ، مما زاد من قوة تلك القبائل ، وأدى إلى وحدتها .

أسماء المواقع والقبائل التي وردت في البحث

- أبو عريش : بفتح العين المهملة ، وكسر الراء ، وسكون الياء المثناة التحتية ، وآخره شين : مدينة من أشهر مدن منطقة جازان وترتفع عن سطح البحر بحوالي ٢٥٠ قدماً .

- أبها : قاعدة منطقة عسير. تتألف من عدة قرى هي : المفتاحة ، القرى ، نعمان ، الربوع ، شدا ، مناظر، البديع، الخشع، النصب ، القابل .. وقد كانت تسمى (مناظر) أحد أحياء المدينة الآن ، إلا أنها بعد التوسع شملت القرى السالفة الذكر. كانت مركزاً للحكم في السراة ، وهي الآن مركز إداري لمنطقة عسير .

- ألمع : بفتح الألف فلام ساكنة ، ثم ميم مفتوحة ، فعين : قبيلة إلى الغرب من قبيلة عسير ، وقد غلبت على ألمع تسميتها برجال ألمع ، وتنسب قبيلة ألمع إلى (أزد شنوءة) وأهم بطون القبيلة بنو قطبة وبنو ظالم وبنو شحب و بنو قيس و بنو زيد وبنو جونة وأهل صلب.

- باحة ربيعة : بفتح الباء ، فألف و حاء مفتوحة ، و تاء مربوطة : هي بلدة كبيرة تقع شمال مركز سودة عسير بمسافة اثني عشر كيلاً .

- باللحمر : قبيلة كبيرة من قبائل منطقة عسير ، إلى الشمال من أبها بمسافة ٦٠ كيلاً ، وتتكون قبيلة باللحمر من حاضرة وبادية ومن أهم أوديتها وادي الماوين ووادي صلحح ووادي عيا .
- بالسمر : من أكبر قبائل منطقة عسير ، وتقع شمال مدينة أبها بمسافة أكثر من ٩٠ كيلاً ، وتتأثر قراها حول خط أبها - الطائف العام وتتكون من حاضرة وبادية.
- بن سرار : بئر تقع إلى الجنوب من بيشة بمسافة أكثر من ٤٥ كيلاً ، وتعود إلى قبيلة بني منبه من شهران .
- بنو شعبة : قبيلة تهامية متاخمة لحدود قبائل ألمع جنوباً ، وتتخذ من مدينة الدرب الساحلية مركزاً لها .
- بنو شهر : من أكبر القبائل العربية في السراة ، يحدها من الشمال غامد وزهران وبالقمرن، ومن جنوب رجال الحجر ، ومن الشرق بيشة وشهران ، ومن الغرب قبائل القنفذة ، وتتكون من سراة وتهامة .
- بنو عمرو : من القبائل العربية الكبيرة ، إلى الشمال من أبها ، بمسافة ١٨٠ كيلاً ، وتعتبر نهاية قبائل رجال الحجر، بها العديد من الأودية الكبيرة مثل وادي الحصبة ووادي عياش .
- بنو مغيد : ميم مضمومة فغين مفتوحة يليها ياء ساكنة فذال إحدى قبائل عسير، إلى الشمال الغربي من مدينة أبها، تتكون من سراة وتهام ، لها أودية كبيرة بتهامة عسير على وادي هلي ووادي مربة ووادي ضلع .
- بيش : بفتح الباء وسكون الياء وآخره شين معجمة ، وادٍ من أكبر أودية تهامة ، مآتيه من جبال السراة ، وترفده أودية وشعاب عديدة .

- بيشة : بكسر الباء وسكون الياء فشين مفتوحة فتاء مربوطة ، منطقة تقع على طريق الحج من صنعاء إلى مكة ، وتتوسط بين عسير والحجاز والدواسر ونجد ، وفي بيشة عدد من القبائل المتحالفة هي : أكلب وشهران وبالحرث وخثعم وبالقرن وشمران .

- تبالة : تاء مفتوحة فباء بعدها ألف فلام مفتوحة فتاء مربوطة، تقع بين سلسلة من الجبال الشاهقة ، حيث يحدها من الشرق جبل زبران ، ومن الغرب جبل بشران ، وفي الوسط هضبة تبالة المشهورة . بها العديد من الآثار، وهي أول عمل وليه الحجاج بن يوسف الثقفي ، فلما اقترب منها رجع عنها ولم يدخلها ، ف قيل [أهون من تبالة على الحجاج] . وقد تغنى بظبائها الشعراء ، يقول أحدهم :

وما مغزل ترعى بأرض تبالة أراكأ وسدراً ناعماً ما ينالها
وترعى بها البردين ثم مقلها غياطل ملتج عليها ظلالها
بأحسن من ليلي وليلى بشبهها إذا هتكت في يوم عيد حجالها
وقال شاعر آخر :

هما ظبيتان من ظباء تبالة يساقط مردأ يانعاً مدرياهما
إذا هزتا قرنيهما من ذبابة يصيب الغصون الدانيات نساها

- تثليث : بفتح أوله وسكون ثانيه فلام مكسورة وياء ساكنة وآخره تاء مثلثة ، اسم عام يطلق على مدينة تثليث ، وتقع منطقة تثليث بين خميس مشيط وسراة عبيدة من الجنوب ، ورنية من الشمال ، والدواسر ونجران من الشرق ، وبيشة وخميس مشيط من الغرب ، وسميت تثليث نسبة إلى واديها المشهور .. وقد أكد الشيخ حمد الجاسر أن جنوب أودية بيشة تقع روافد وادي تثليث العظيم المفضي إلى وادي الدواسر، ومن أشهرها طريب والعرين .

- **جونة** : بضم الجيم فواو ساكنة بعدها نون مفتوحة فتاء مربوطة : إحدى قبائل ألمع الكبيرة .
- **حجلا** : بكسر الحاء فجيم ساكنة فلام مفتوحة بعدها ألف : واد ينحدر من حزب آل السريع ووادي حليلا ويتجه للشمال مخترقاً بلاد بني مالك حتى يلتقي بوادي أبها في الخنقة ثم يفيزان في وادي بيشة ، وعلى جانبه الغربي تقع قرية حجلا (مدينة سلطان) حالياً ، وتتبع لقبيلة بني مالك عسير .
- **عقبة رجم** : راء مفتوحة فجيم ساكنة بعدها ميم : عقبة وعرة . يبدأ انحدارها من شعف آل الحارث من ربيعة ورفيدة وتنتهي في وادي عرم أحد روافد وادي تيه .
- **عقبة ريذة** : راء مفتوحة فياء ساكنة بعدها دال مفتوحة فتاء مربوطة : عقبة تبدأ أغوارها من شعف آل ويمن وبالذات منتزه السحاب ، وتنتهي بقرية ريذة التاريخية ومركز آل عائض حكام عسير سابقاً ، ومن هناك يتفرع طريقان ترابيان أحدهما يتجه إلى هجرة الحصن والثاني إلى جوال أم نجيم ، وتخدم بادية آل ويمن وآل نجيم .
- **زهران** : زاي مفتوحة فهاء ساكنة فراء بعدها ألف ونون : قبيلة كبيرة لها سراة وتهامة ، تشكل مع غامد منطقة الباحة . يعود نسبها إلى زهران بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد .
- **السُّقا** : سين مشددة مضمومة فقاق مفتوحة بعدها ألف . معقل آل عائض حكام عسير سابقاً . تقع جنوب السود ، إلى الغرب من مدينة أبها بحوالي خمسة عشر كيلاً ، ذكرها شعراء الفصحى والعامية .
- **السُّودة** : سين مشددة مضمومة فواو ساكنة فдал مفتوحة بعدها تاء مربوطة : جبال شاهقة الارتفاع ، إلى الشمال الغربي من مدينة أبها بحوالي خمسة وعشرين كيلاً ، وترتفع عن سطح البحر بحوالي ٣١٥٠ متراً .

- عقبة شعار: شين مكسورة فعين مفتوحة فألف ساكنة فراء . تقع إلى الشمال من مدينة أبها بحوالي ثلاثين كيلاً ، تربط السراة بتهامة محایل .
- الشعبين : شين مشددة مضمومة فعين ساكنة فباء مفتوحة فياء ساكنة فنون : مدينة تهامة تتبع قبيلة ألمع .
- الشقيق : بالتصغير شين مشددة مضمومة وبعدها قاف مفتوحة فياء ساكنة فقاف : بلدة ساحلية كانت مرسى للسفن . تقع في الشمال الغربي من منطقة جازان . تبعد عن مدينة جازان بحوالي ١٥٠ كيلاً ، وتقع على طريق الحجاز - تهامة على واد يسمى غوان .
- صبيا : بفتح الصاد وسكون الباء الموحدة وفتح الياء المثناة التحتية وآخرها ألف : مدينة قائمة على عدوة الوادي الذي سميت باسمه . تعد مركزاً تجارياً على خط جازان - الحجاز ، وكانت عاصمة لمنطقة جازان منذ ١٢٢٦هـ ، وبالقرب منها صبيا الجديدة التي اختطها الإدريسي سنة ١٢٣٨هـ جبرية .
- عقبة ضلع : بكسر الضاد بعدها لام مفتوحة فعين : عقبة مهمة يبدأ مسارها من جنوب مدينة أبها وتنتهي بدرب بني شعبة ، تربط منطقة جازان بمنطقة عسير .
- طَبَب : طاء مفتوحة فباء مفتوحة فباء : تقع إلى الشمال الغربي من مدينة أبها بمسافة حوالي ٢٨ كيلاً . اسم عاصمة قبيلة ربيعة ورفيدة . فيها مسجد أثري ينسب إلى الإمام سعود بن عبد العزيز أحد أئمة الدولة السعودية الأولى .
- عِتَوْد : بكسر أوله وسكون ثانيه فواو مفتوحة فдал ، اسم لواديين منبعهما متقارب، الأول ينحدر من طور آل يزيد و منحدرات القرعاء و يتجه إلى الجنوب الغربي مخترقاً تهامة عسير الشرقية ويلتقي مع وادي ضلع شمال قرية الذنبة ثم

يتجه إلى الغرب حتى يلتقي مع وادي مربة ، وأخيراً يصب في البحر الأحمر ..
أما الثاني فينحدر من شعف شهران ويتجه شمالاً حتى يلتقي بوادي بيشة الغرابة
شمال مدينة الخميس .

- **عقبة العوص** : بفتح العين فواو ساكنة فصاد مهملة : عقبة شديدة الانحدار
ينحدر واديها من عقبة الصماء و يسيل في حلي، وبه عدة قرى لبني عبد العوص
من قبائل ألمع.

- **غامد** : بفتح الغين بعدها ألف فميم مكسورة فдал : بلاد واسعة سميت باسم أول
من سكنها وهو غامد بن عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن
الأزد . يحدها من الشرق بلاد سبيع وأكلب ، ومن الغرب بلاد زهران ، ومن
الشمال بلاد زهران وبالحارث، ومن الجنوب بلاد خثعم ، وتسكنها ١٨ قبيلة في
السراة ، و٩ قبائل في شبه السراة .

- **فرسان** : بفتح الفاء والراء والسين بعدها ألف فنون: جزيرة تحتل موقعاً
إستراتيجياً في مياه البحر الأحمر إلى الغرب من مدينة جازان ، وتتبعها عشرات
الجزر الصغيرة ، بعضها مأهول بالسكان ، والبعض الآخر غير مأهول.

- **القحمة** : قاف مفتوحة فحاء ساكنة بعدها ميم مفتوحة فتاء مربوطة ، مؤنث
قحم: قاعدة قبيلة المنجحة الواقعة على ساحل البحر الأحمر ، ميناء معروف يتبع
منطقة عسير ، إلى الشمال من الشقيق .

قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية

الوثائق

- دار الوثائق القومية، بحر برا، محفظة ٣ ، وثيقة رقم ٥ ، في ٢٥ المحرم ١٢٢٨هـ.
- دار الوثائق القومية ، بحر برا، محفظة ٤ ، وثيقة رقم ١٣٨ ، في ١٥ صفر ١٢٣٠هـ.
- دار الوثائق القومية، بحر برا، محفظة ٤ ، وثيقة رقم ١٢ ، في ٣ ربيع الآخر ١٢٣٠هـ.
- دار الوثائق القومية، بحر برا، محفظة ٤ ، وثيقة رقم ١٤ ، في ٩ جمادى الأولى ١٢٣٠هـ.
- دار الوثائق القومية، بحر برا، محفظة ٤ ، وثيقة رقم ٢٠ ، في ١ رجب ١٢٣٠هـ .
- دار الوثائق القومية ، بحر برا، محفظة ٤ ، وثيقة رقم ١٤٨ ، في ١٢ رجب ١٢٣٠هـ.
- دار الوثائق القومية، بحر برا، محفظة ٤ ، وثيقة رقم ٢٩ ، في ٢٢ شعبان ١٢٣٠هـ .
- دار الوثائق القومية، بحر برا، محفظة ٤ ، وثيقة رقم ١٣٧ ، في ١٥ رجب ١٢٣٢هـ.
- دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفظة ٥ ، وثيقة رقم ٧٢ ، في ١٣ رجب ١٢٣٣هـ.
- دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفظة ١٦ ، وثيقة رقم ١١٩ ، بدون تاريخ.
- دار الوثائق القومية، بحر برا ، محفظة ١٦ ، وثيقة رقم ١٢٠ ، بدون تاريخ .
- دار الوثائق القومية، بحر برا، محفظة ٨ ، وثيقة رقم ٩٣ ، في ٤ ربيع الآخر ١٢٣٨هـ.
- دار الوثائق القومية ، بحر برا، محفظة ٩ ، وثيقة رقم ١١ ، في ٢١ رجب ١٢٣٩هـ.
- دار الوثائق القومية، بحر برا ، محفظة ٩ ، وثيقة رقم ١٢ ، في ٢١ رجب ١٢٣٩هـ.
- دار الوثائق القومية ، بحر برا ، محفظة ٩ ، وثيقة رقم ١٣ ، في ٢١ رجب ١٢٣٩هـ.
- دار الوثائق القومية، بحر برا، محفظة ٩ ، وثيقة رقم ٦٦ ، في ٧ ربيع الأول ١٢٤٠هـ.
- دار الوثائق القومية ، بحر برا، محفظة ٩ ، وثيقة رقم ٨٧ ، في ١١ شعبان ١٢٤٠هـ.
- دار الوثائق القومية، بحر برا، محفظة ٩ ، وثيقة رقم ١٠٦ ، في ٣ ذو القعدة ١٢٤٠هـ.

- دار الوثائق القومية، بحر برا، محفظة ٩ ، وثيقة رقم ١٢١، في ١٣ ذوالحجة ١٢٤٠هـ.
- دار الوثائق القومية ، بحر برا، محفظة ١٠ ، وثيقة رقم ١٤٠، في ١١ المحرم ١٢٤١هـ.
- دار الوثائق القومية ، بحر برا، محفظة ٦، وثيقة رقم ١٢٧، بدون تاريخ.
- دار الوثائق القومية، بحر برا، محفظة ١٠، وثيقة رقم ٤٩، في ١٩ ربيع الأول ١٢٤١هـ.
- دار الوثائق القومية، بحر برا، محفظة ١٠، وثيقة رقم ٦٨، في ٩ ربيع الآخر ١٢٤١هـ.
- دار الوثائق القومية، معيه تركي، دفتر ٤، وثيقة رقم ١٣، في ١٥ رجب ١٢٣٤هـ.
- دار الوثائق القومية، معيه تركي، دفتر ١٤، وثيقة رقم ٢٠، في ٢١ رجب ١٢٣٨هـ.
- دار الوثائق القومية، معيه تركي ، دفتر ١٤، وثيقة رقم ١٥٣ (أمر كريم) ، في ٥ ذو الحجة ١٢٣٨هـ .

- دار الوثائق القومية، معيه تركي، دفتر ٢٠، وثيقة رقم ١٥٣، في ٢٤ المحرم ١٢٤٠هـ.
- دار الوثائق القومية، معيه تركي، دفتر ٢٢، وثيقة رقم ١٩، في ٢٧ رمضان ١٢٤٠هـ.
- دار الوثائق القومية، معيه تركي، دفتر ٢٠، وثيقة رقم ١٥٢، في ٢٤ المحرم ١٢٤١هـ.
- دار الوثائق القومية ، معيه تركي، دفتر ٢٠، وثيقة رقم ١٧٣، في ٦ صفر ١٢٤١هـ.

المخطوطات:

- عبد الرحمن بن أحمد البهكلي . نفع العود في سيرة أيام الشريف حمود (مخطوط) ، دارة الملك عبد العزيز، قسم المخطوطات ، رقم ٦١ ، الرياض .
- محمد بن إسماعيل الكبسي . اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية (مخطوط) ، جامعة الملك سعود ، قسم المخطوطات ، رقم ٢٢٤٢، الرياض .

المصادر والمراجع العربية :

- إبراهيم بن علي الحفظي. تاريخ عسير ؛ تحقيق وتعليق محمد مسلط - ط ٥ ، بدون محل ، ١٤١٣هـ .

- أحمد السباعي . تاريخ مكة ، ج ١ - القاهرة ، ١٣٧٢هـ .
 - الحسن بن أحمد الهمداني . صفة جزيرة العرب ؛ تحقيق محمد الأكوخ - الرياض ، ١٣٩٤هـ .
 - الشريف البركاتي . الرحلة اليمانية - ط ٢ ، بيروت ، ١٣٨٤هـ .
 - عبد الرحمن بن حسن الجبرتي . تاريخ عجائب الآثار في تراجم الأخبار ، ج ٣ - بيروت .
 - عبد الرحمن بن محمد الرافعي . عصر محمد علي - ط ٣ ، القاهرة ، ١٣٧٠هـ .
 - د . عبد الرحيم عبد الرحمن . الدولة السعودية الأولى ، ج ١ - ط ٥ - القاهرة ، ١٤٠٧هـ .
 - عبد الله علي مسفر . أخبار عسير - ط ١ - بيروت ، ١٣٩٨هـ .
 - عثمان بن بشر . عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ١ - الرياض .
 - علي أحمد عسيري . عسير ١٢٤٩-١٢٨٩ هـ - الرياض ، ١٤٠٧هـ .
 - فؤاد حمزة . في بلاد عسير - ط ٢ ، الرياض ، ١٣٨٨هـ .
 - محمد بن أحمد العقيلي . تاريخ المخلاف السليماني ، ج ١ - ط ٢ ، الرياض .
 - د . محمد بن عبد الله آل زلفة . دراسات من تاريخ عسير الحديث - ط ١ ، الرياض ، ١٤١٢هـ .
 - محمود شاكر . شبه جزيرة العرب (عسير) - ط ٣ ، دمشق ، ١٤٠١هـ .
 - هاشم بن عبد الله النعمي . تاريخ عسير ، بدون معلومات .
- المراجع الأجنبية :

- Burkhardt, (J . L.), *Travels in Arabia, vol. 1 , London , 1829.*
- Philby, (H . St.), *Saudi Arabia, London, 1955 .*